السفير

مجموعات دباس والمؤسسة العربية للصورة وسوليدير والجامعة الأميركية.. ما تبقى من ذاكرتنا الفوتوغرافية كنوز من الصور في انتظار أن توجد الجهة التي تستلم وتشرّع وتصون


بانوراما لمدينة بيروت العام 1897 من كتاب فؤاد دباس بيروت ذاكرتنا، جولة مصورة في المدينة القديمة الصادر عن دار بيسان 1994

المؤلف: عواد مايسة
التاريخ: 21-04-2006
رقم العدد:10374

لو كان للكثير من الصور الفوتوغرافية القديمة في لبنان أن تنطق، لاستغاثت من العث. مجموعات كاملة لم يكن لها حظ الخروج إلى الضوء، فبقيت تتحلل بصمت في خزائن موصدة بإحكام، تتآكلها العتمة شيئاً فشيئاً. صور ثمينة تموت موتاً بطيئاَ، تتعذب على مهل وقليلون يلتفتون نحوها بعد ان أتت الحرب على أثمن اللحظات وأندرها، وتكفل الإهمال والجهل بقسم لا يستهان به مما بقي منها. في ظل هذا الواقع السوداوي الذي يمحو أبرز معالم ذاكرتنا الفوتوغرافية، ولا يبقي إلا على بعض الصور المكرّسة التي استهلكت لكثرة عرضها، حاولنا التفتيش عن الجهات التي تقوم بجمع الصور والحفاظ عليها، فأتى المشهد مدهشاً وغير متوقع: آلاف الصور يحاول أصحابها جاهدين كي يأمنوا عليها من الضياع، صور لا تلتقط المناظر الطبيعية والبيوت والمدن فحسب بل تخترق جدران المنازل

فتصور أناسها، وتنزل إلى أزقة المدن القديمة وشوارعها فتأسر لحظات لن تعود يوماً. صور تكسر التوقعات وتخرج بجرأتها عما هو عادي ومعروف، فهي، وان عادت إلى العام 1840 أو إلى بداية القرن العشرين، تتضمن لقطات جريئة وصادمة تتنوع أماكنها بين القرى، الصالونات، السجون، صالات السينما وحتى المشارح. تكاد المؤسسة العربية للصورة تكون المؤسسة الوحيدة في لبنان، بعيداً عن اهتمامات الأفراد، التي تنبهت إلى ان الكثير من الكتب التي حوت صوراً حول المنطقة إضافة إلى المعارض الفوتوغرافية، هي نتاج أوروبيين صوروا الرؤية التي يملكونها عن العالم العربي، ولم يقدموا وقتها الصورة الحقيقية لهذه البيئة كما نعرفها ونعيشها. أخذت المؤسسة على عاتقها القيام بحفظ نتاج المصورين المحليين، وهي تملك في أرشيفها حاليا حوالى 150 ألف صورة تتنوع مواضيعها والبلدان التي صورت فيها: لدينا 150 ألف صورة جمعناها في لبنان، سوريا، مصر، فلسطين، العراق، الأردن، المغرب وإيران. أما أقدم مجموعة صور فهي عائلية أخذت العام .1881 وتعود إلى آل عز الدين في العبيدية، إذ كان رب العائلة ديبلوماسياً يصور بين لبنان ومصر. النيغاتيف الذي وجدناه كان على الزجاج، والمجموعة كانت في قبو وكلها أصابها العفن لأن قليلين هم من يعلمون كيفية المحافظة على الصور تشرح زينة عريضة مديرة المؤسسة العربية للصورة وتتابع معاتبة: الصور ترمى وتضيع في البيوت والأستوديوهات لأن هناك من لا يدرك مثلاً ان صورة جده قد يكون لها قيمة مهمة في صناعة تاريخ الصورة، بإمكاننا ان ندرس الصور الفوتوغرافية لأنها تؤسس لما يعرف بالثقافة النظرية، ومن المهم معرفة كيف كانت ممارسات المصورين الأوائل والأحداث التي ارتبطت بصورهم . تطور الحركة وتغير المعالم يظهر بوضوح في مجموعة الصور التي قامت السوليدير بأخذها لمنطقة وسط المدينة، ومع انها لا تنافس، من حيث القدم، المجموعات الأخرى إلا انها توثق بشكل كبير لهندسة المباني المعمارية والأوضاع الاجتماعية التي عرفتها المنطقة بعد الحرب وصولاً إلى اليوم. سيما درويش من قسم التوثيق في شركة سوليدير تعلّق: بدأت الشركة التصوير العام ,1993 هناك حوالى 3000 فيلم متنوع بين اجتماعات وفود وصور أبنية، شوارع مدمرة، معارض ولوحات تخص نشاطات الشركة سواء كانت اجتماعية أو إعمارية وغيرها . ومع ان البعض يجد في الخطوة التي أقدمت عليها الشركة عملاً ترويجياً بحتاً، إلا أن الواقع يبقى انها حفظت بالخطوة هذه، بغض النظر عن الدوافع، المادة التوثيقية الأغنى حول منطقة وسط المدينة. الجامعة الأميركية تملك واحدة من المجموعات التي لا يمكن إلصاق صفة التجارية أو الترويجية عليها، وهي تنقسم إلى مجموعة الجامعة الخاصة التي تضم 45 ألف صورة

تتنوع بين بنايات الجامعة، الأساتذة الأوائل، أوائل الخريجين وصور عن منطقة رأس بيروت، ومجموعات أخرى من خارجها يصل عددها إلى حوالى 5000 صورة.
المسؤولة عن قسم التوثيق في الجامعة الأميركية سمر ميقاتي تعلّق: نحن نوثق كل الأحداث والنشاطات التي تحدث داخل الجامعة أو خارج الحرم الجامعي لأننا نعتقد بضرورة بقائها، نحن لا نعيش في جزيرة بل في حاجة إلى حفظ التراث الموجود حولنا . ومع ان قسماً من المجموعات المتوافرة في أرشيف الجامعة جاء على شكل تقدمة كما هي الحال مع زوجة هوارد بليس التي قدمت مجموعة مؤلفة من حوالى أربعمئة صورة لفتت عدسة زوجها، إلا ان هناك صوراً قيمة اكتشفت عن طريق الصدفة وسيتم قريباً نشرها في كتاب: قدمت مجموعة موور (كان مدرساً في الجامعة) إلى المكتبة بعد أن توفي، لقد بقيت أغراضه في عليّة إحدى البنايات والنيغاتيف كان عبارة عن ألواح زجاجية مكدّسة، ثم قدمت للمكتبة تشرح ميقاتي. إلا ان الجامعة الأميركية هي واحدة من المؤسسات التي لم تكتف بهذه المجموعات بل أخذت على عاتقها شراء مجموعات أخرى لأسباب أكاديمية: الحاجة إلى مواد تكمّل البرنامج التعليمي دفعتنا إلى البحث عن مجموعات أخرى تم شراؤها، كمجموعة عايدة كنفاني زهار التي صورت المهن الحرفية فتم شراء العديد من صورها على دفعتين نظراً إلى أهميتها. كما اشترت الجامعة صوراً لمانوغ الذي صور مهرجانات بعلبك ومحطات عديدة من لبنان وبيروت . أما عن أقدم صورة موجودة في الجامعة تعلق ميقاتي: الصور التى تعود إلى العام 1866 بالأبيض والأسود، موجودة بحالة جيدة وتتناول الجامعة ومحيطها . أما بالنسبة إلى الجامعات الأخرى، فقد بدأت جامعة سيدة اللويزة قبل أعوام قليلة بالالتفات إلى الصور الإغترابية على وجه التحديد، من خلال مركز الدراسات اللبناني المنشأ فيها حديثاً. الغرفة الكنز ثلاثة خزائن تبدأ من أرض الغرفة وتنتهي عند سقفها العالي، تمتلئ رفوفها بآلاف الصور بينها 27 ألبوما منتفخا بلقطات من كل المناطق اللبنانية والعديد من الدول العربية، هي الجزء الأبرز من مجموعة الراحل فؤاد دباس. في مركز شركة دبّاس، يمسك روبرت دباس ألبوماً تلو الأخر محاولاً إبراز غيض من فيض ما جمعه أخوه المعروف بشغفه، إن لم نقل هوسه، بالصورة: هي أبعد من هواية، لقد أمضى فؤاد دباس أكثر من 25 سنة وهو يجمع الصور، لقد ترك عمله وتخصص بهذا المجال، كان لا يتردد بدفع آلاف الدولارات وبالسفر إلى العديد من البلدان فقط كي يحصل على صورة نادرة . اللافت في المجموعة ليست الصور القديمة التي يعود بعضها إلى العام 1840 أي إلى تاريخ بدء التصوير الفوتوغرافي فحسب، إنما المميز أيضاً هو الجهد التوثيقي الواضح الذي يطاول كل صورة على حدة، إذ قام فؤاد دباس

بأرشفة مكان وزمان أخذها، ومعلومات أخرى ترتبط بها، ما يجعل من الصعب تجاهل الطريقة العلمية المتبعة في الأرشفة. خلال الجولة على الغرفة ومحتوياتها يخرج دبّاس يوميات الكونتيسة بيرتوي التي كتبت عليها مذكراتها من جهة، ورسمت المناظر التي شاهدتها على الجهة الأخرى من الورق، وهي يوميات اشتراها فؤاد دباس بمبلغ مئة ألف دولار. يبدو روبرت دبّاس حريصاً على ابراز مفاجآت تطلبت ربع قرن كي تجمع وتوضب، إذ يشير إلى مجموعة خزائن أخرى تحوي ملفات جاهزة ومنظمة حول كل من صوّر وعمل في هذا المجال، إضافة إلى مقتطفات من جرائد وأبحاث حول كل الصور . هذا المشهد اللافت هو بعض ما يمكن للمرء ان يراه من المجموعة التي آلت اليوم إلى الورثة أنطوان وروبرت دباس. جمال المجموعة هذه وأرشفتها المميزة لا يعني انها لا تعاني من أية مشكلة في ظل غياب الغرفة خاصة بحفظ الصور، وحاجة بعض الصور النادرة الموجودة إلى صيانة سريعة. كما ان المجموعة المتقدمة على الكثير من المجموعات الأخرى لجهة العدد والمضمون، لم تحول إلى مجموعة رقمية بعد، وبقيت بالتالي بعيداً عن متناول الجميع، إلا ان هذه النقاط تبدو حاضرة في حسابات الورثة، هم الذين يشددون على اعتبارها ملكاً للمجتمع لا ملكاً للعائلة، على الرغم من قيمتها المادية العالية: أدرس إمكانية تحميلها على شبكة الإنترنت وأتلقى عروضا في هذا المجال، أريد ان أضع المجموعة إما في مؤسسة أو جامعة أو متحف، لكني أريد أن أتأكد انني أضعها في مكان آمن وله استمرارية . وهل المكتبة الوطنية، أو متحف سرسق مثلاً هما خيار ممكن لحفظ الصور؟ يجيب دبّاس عن هذا السؤال بالقول: لا أريد ان يكون هناك أية مرجعية سياسية مسؤولة عن الصور، كل ما كان موجوداً في المكتبة الوطنية رمي أو احترق خلال لحرب وأنا لا أريد ان أخاطر . هكذا يبرز الفارق بين ورثة يعملون ما في وسعهم للحفاظ على الصور وإبرازها، وآخرين يرفضون حتى إخراجها من العتمة، محسن يمّين هو أحد جامعي الصور الذين صادفوا العديد من العقبات من هذا النوع، وله مؤلفات عديدة حول تاريخ الصورة في لبنان، ويملك مجموعة مهمة من الصور الفوتوغرافية ومئات الأفلام غير المظهرة بعد، عدا النيغاتيف الموجود على زجاج. خلال الحديث معنا أبقى اسم صاحب أحد أهم المجموعات طي الكتمان معلقاً: لم أفقد حتى اللحظة إمكانية إقناع حفيدته بالتعاون من أجل اخراج ألبوماته من العتمة التي تلفّها، في سبيل رفد النتاج التصويري اللبناني بمادة تخرج عن كل ما هو معتاد ومألوف من صور لما تزل مجهولة حتى الساعة . خلال الحديث لا يصعب على يمّين ان يستعيد الكثير من المواقف والقصص التي شكّل الورثة فيها سبباً مباشراً لضياع الصور أو على أقل تقدير بقائها غير معروفة

برغم أهميتها. ورشة حفظ الصور ليس بمهمة سهلة خصوصا عندما تكون المجموعات قد تعرضت لعوامل تفسد الورق أو الألوان، والطريقة تختلف بطبيعة الحال بين مؤسسة وأخرى، توضح عريضة ان المؤسسة العربية للصورة لا تعين اشخاصاً من خارج المؤسسة ليقوموا بمشروع ما، بل ان أعضاءها، وهم مصورون وفنانون يحرصون في خيارهم على مقاربة فنية محددة يقومون بالبحث والتفتيش: بعد عملية بحث صعبة وطويلة، وبعد جمع الصور الملائمة، تمر الصور في المركز بسلسلة من المعالجات: ينظف النيغاتيف باستعمال القطن المبلول بالمعقم المخفف بالماء، ثم يتم تحويل النيغاتيف إلى stnirP tcatnoc? كي تدخل بعد مسحها إلى بنك المعلومات . الخطوة الأولى في مسيرة الألف ميل تبقى الأصعب في رحلة جمع الصور أي التفتيش في ألبومات العائلات البرجوازية التي كانت تستطيع تحمّل تكاليف المصور والاهتداء إلى الأسماء التي كانت توقّع والبحث عنها في أمكنة غير متوقعة كالمؤسسات العسكرية أو المدارس. إلا ان هذه المرحلة لا تبدو كافية أبداً لجمع الصور، لذا تتبعها أخرى توثيقية: نقوم ببحث مفصل في حال كانت هناك معلومات ناقصة حول الصورة، كما نكتب كل ما نعرفه عنها كالظروف التي أحاطت بها من أحداث سياسية وغيرها . وبمقابل حرص المؤسسة العربية للصور على المقاربة الفنية في الصور، تختلف طريقة العمل جذرياً مع شركة سوليدير: لدينا موظف يقوم بالتصوير بشكل يومي، لكن عندما نحتاج إلى صور متعددة لأحداث متلاحقة بإمكاننا ان نتعاون مع مصورين محترفين ، أما عن الناحية الفنية للصور فتعلّق درويش: قسم الغرافيك ديزاين لديهم صور فنية أكثر، نحن لدينا صور للعمل اليومي العادي وكل الصور محفوظة في قسم الأرشيف . هاجس الحفاظ على الصور بأفضل الظروف الممكنة دفع بالمؤسسة العربية للصورة إلى تنفيذ غرفة كانت تكلفتها 02 ألف دولار، تبقى مبردة 42 ساعة سبعة أيام في الأسبوع، نسبة الرطوبة فيها 07 بالمئة، ولا يتم إخراج الصور منها إلا عند الضرورة كي تبقى درجة الحرارة والرطوبة فيها ثابتتين مع الحرص على خلو العلب من أية مادة أسيدية، وتحديداً في الغراء اللاصق، مع اعتماد نظام إطفاء للحريق لا يؤذي الورق عند إطفاء النار. مقابل هذه الترتيبات الخاصة والمكلفة تحاول المؤسسات الأخرى الحفاظ على الصور بأقل قدر من التكاليف لتأمين أكبر قدر ممكن من الحماية للصورة، كما هي الحال في مكتبة الجامعة الأميركية: الصور محفوظة بطريقة مسطحة، بحسب ترتيبها الزمني، ونعتمد على نظام التبريد العادي للحفاظ على المجموعة، وحدها المخطوطات موضوعة في حجرات تحت ظروف بيئية محددة . توضح سمر ميقاتي المسؤولة عن قسم الأرشيف في الجامعة الأميركية. صور خالدة مهمة وصف الصور

وحصر دلالاتها التوثيقية تبدو مستحيلة، وحدها بعض النماذج تستطيع أن تقدم جزءاً مما تحفل به الخزائن والألبومات المغلق عليها بإحكام، عريضة تعتبر أن أهم المجموعات الموجودة لدى المؤسسة تعود إلى المصور هاشم مدني هي الأكبر من حيث العدد و تضم 57 ألف صورة من الممكن أن تكون موضوع دراسة مفصلّة تخرج كتاباً يحوي عشرات الصور، تتوقف عند تلك التي أخذت في صيدا وتظهر شباناً يقبلون بعضهم، أو شابات يفعلون المثل. وتقول: مع ان صيدا هي من المدن المحافظة إلا انه، بحسب مدني، كان تقبيل أبناء الجنس الواحد لبعضهم أمام الكاميرا أمراً طبيعياً، لأن الشبان آنذاك كانوا يريدون تقليد الأفلام من جهة، ولأن المجتمع لا يسمح للشاب بتقبيل الفتاة قبل الزواج من جهة الأخرى، ف يتدرب أبناء الجنس الواحد في الأستوديو ويحتفظون بالصورة ، وتتابع عريضة المدني كان يصور كل شيء حتى صالات السينما، داخل السجون وغيرها، استغرقنا العمل أربع سنوات على مجموعة واحدة له بين جمع ووصف وتعريف، والآن يتم التحضير لمعرض في برشلونه . أما المجموعة التي يعتبرها حسن يمّين ذات قيمة توثيقية فهي العائدة إلى المصور داوود فراخ من صورات البترون، أو بالأحري ما سلم منها ، وقد التقط صورها واحدة تلو أخرى وهو يجوب القرى على ظهر دابته أو مشياً على قدميه اثر تكليفه من قبل شقيقه المطران عمانوئيل فارس الذي كان مقيماً في باريس، بتغطية كافة جوانب ومظاهر الحياة اليومية في جبل لبنان، على أن تطبع وتعمم على شكل بطاقات بريدية: عدسة الفرّاخ التي خرجت من أسر الأستوديو في مرحلة بزوغ أنوار القرن العشرين تتميز ببساطة مراقبتها للناس والأماكن ضمن دائرة جغرافية تمتد من الأرز وجبة بشري وصولاً إلى بيت الدين، مروراً ببيروت مع تركيز خاص على منطقة البترون . من ضمن الصور المؤثرة التي جمعها يمّين وأصدرتها المؤسسة العربية للصورة على شكل كتاب، مجموعة المصور كميل القارح الذي تعلم التصوير على يد مصور أرمني هارب من المذابح، فصوّر العديد من الأشخاص بعد موتهم في قالب فيه جمالية كبيرة في الشكل، كما هي الحال مع صورة المونسينيور بول معوض العام .6391 وصور أخرى تعود لأطفال مسجّين يصعب للوهلة الأولى معرفة إن كانوا نياماً في سرير من الورد أم أمواتاً، إضافة إلى صور عديدة أخذت في المشارح، حول هذه الصور تعلّق عريضة: من المحتمل ان يكون هذا الطقس قد قدم من أميركا اللاتينية بعد الهجرة إلى هناك، أعتقد أن البعض أراد أن يحتفظ بصور جميلة لأحبابه بعد موتهم كونه لم يتمكن من التقاطها لهم وهم أحياء . مع الإشارة إلى ان صور الموت ليست الوحيدة التي أخذها القارح الذي اختار العديد من المهام بينها تصوير القباضايات العام 5291. وفي حين ان الغلبة واضحة

لصالح المصورين الرجال من حيث العدد وكميات الصور المحفوظة لهم، إلا ان للعنصر النسائي مشاركة في صنع الذاكرة الفوتوغرافية في لبنان كما هي الحال مع ماري الخازن التي صورت عائلتها ومحيطها، ومن ابرز الصور الباقية لها في المؤسسة العربية للصورة لقطة تظهر مجموعة نساء في أحد الصالونات يرتدين بزات رجالية حديثة مع طرابيش على رؤوسهن (9291) في انعكاس واضح لبدء المطالبة بالتحرر والمساواة مع الرجل.
هكذا تبدو الصور ذات الدلالات الإجتماعية هي صاحبة حصة الأسد من المجموعات المحفوظة في المؤسسة العربية للصورة، على حساب صور اللاند سكيب: النقص في اللاند سكيب كان يعوضه إلى حد ما زولان صيداوي وفاروجيان اللذان ركزا على هذا النوع من اللقطات تعلّق عريضة، مع العلم انه حتى في وزارة السياحة التي تملك مجموعة صور متواضعة من حيث العدد تعود إلى الخمسينيات والستينيات، يبرز النقص في هذا المجال إذ لم تكن صور المسح مطلوبة بقدر صور العقارات. وعن الصور خارج النطاق الاحترافي، فإن ما لفت يمّين مجموعة أخرى عائدة إلى أحد الهواة وكان من أصل أجنبي استقر في بيروت لم يترك ناحية من النواحي إلا ووجه إليها ماكنته مثبتاً لقطاته بدقة ومهارة وحميمية تحملنا على النظر إلى بيروت من زوايا لم نعتدها من قبل في ما هو متداول من صور وشائع من بطاقات . من المسؤول؟ مع ان شركات عديدة صورت أثناء الحرب كشركة أوجيه، ومؤسسات إعلامية قامت بحفظ العديد من الصور ما وفّر أرشيفاً مهماً كما هي الحال مع أرشيف بعض الصحف اللبنانية ك السفير و النهار ، يبقى الواقع أن مجموعات كثيرة لم تجد من يعثر عليها أو يقدرها في لبنان، فكان قدرها ان تعرض في أبرز المتاحف العالمية، هذا الذي يشير إليه يمين ضارباً المثل بمجموعة فؤاد دباس: بعض الصور التي جمعها فؤاد دباس لم تعد في العالم العربي بل أصبحت في متاحف العالم . أما المؤسسة العربية للصورة فتتبنى سياسة مختلفة تماماً في انتقائها للصور إذ تبتعد عن الصور التي لها قيمة كبيرة مادياً، وبالتالي لا تشكل منافسة للمتاحف العالمية نعمل على مجموعات نملك حقوق نشرها وتوزيعها أو مشاركين بها عندما نقرر امتلاك مجموعة ما تعلق عريضة. بين من يلوم الدولة ويحملها مسؤولية كبيرة في واقع الذاكرة الفوتوغرافية في لبنان، وآخرون يصبون جام غضبهم على الحرب وما فعلته بما كان محفوظاً، تبقى الحرقة الواضحة على ما أكلته النيران وحولته رماداً: الكثير من نتاج المصورين المميزين أزالته الحرب وجنون المقاتلين من الوجود، آسف كثيراً على آلاف البطاقات البريدية التي اتلفت في متجر آل طرزي في بيروت، وفي شارع التل في طرابلس حيث دمر العديد من الأستوديوهات، وأفترض ان الأمر نفسه حصل في بحمدون أو عاليه وبقية المصايف

الأخرى ، يعلق يمّين بأسف واضح مستذكراً الصدفة التي جعلت مجموعة صور منسية من صور الشرق الأوسط تجد طريقها إلى متحف الأثار السامية في جامعة هارفارد، كانت موضوعة في صناديق لا يعرف أحد عنها شيئاً، لغاية تفجير مكتب وزير الخارجية السابق هنري كيسنجر خلال احدى التظاهرات الطلابية المناهضة له في السبعينيات، وكان ان سقط، بنتيجة الانفجار، السقف والصناديق التي تحوي 03 ألف صورة جمعها كتّاب كانوا يسافرون إلى الشرق، وقد عرضت نماذج منها في لبنان . ويبدو ان التقاليد الإجتماعية في العالم العربي والأحداث التاريخية من انقلابات وحروب كان لها الأثر السلبي على الصورة ليس في لبنان وحده بل في مختلف الدول العربية: أخبرنا فان ليو المصور الأرمني المصري بعد ان أعطانا صوراً لنساء شبه عاريات، انه حرق آلاف الصور عند حدوث الثورة خوفاً من ردود الفعل في الأوساط المتدينة، لم يخبرنا أحد في لبنان عن حالات حرق الصور، لكن هناك استوديوهات في طرابلس خسرت الكثير من الصور تؤكد عريضة.

بعيداً عن السمع وفي الوقت الذي تغيب فيه الجهات الرسمية تماماً عن السمع، تقوم المؤسسات الأخرى بفعل ما في وسعها لجهة التحديث والأرشفة مع اعترافها ان كل ذلك يبقى خطوة ناقصة من دون تفعيل الإهتمام الرسمي: نقوم بإعداد كاتالوغ كامل بعد ان تم مسح الألبوم وبات رقمياً، لا يمكننا بالطبع ان نأخذ دور الدولة والمؤسسات، لكننا نعمل على قدر إمكانياتنا تشدد سمر ميقاتي. بدوره يتشارك يمين في الفكرة هذه مع ميقاتي:

المؤسسات الرسمية هي المسؤولة عن حفظ الصور وأرشفتها، لكن الانتباه الرسمي لا يزال ضئيلا، باستثناء دائرة المحفوظات الوطنية ليس هناك من يرعى هذا الجانب الوطني من تراثنا، وموجودات هذه الدائرة التابعة لرئاسة مجلس الوزراء غذتها إلى حد بعيد هبة المرحوم فؤاد دباس على أيام مديرها فاروق مسيكة، إذ قدّم إليها نسخاً عن آلاف البطاقات البريدية الأصلية، من مجموعته الخاصة التي آلت إلى ورثته . لو كان للكثير من الصور الفوتوغرافية القديمة في لبنان أن تنطق، لاستغاثت من العث. مجموعات كاملة لم يكن لها حظ الخروج إلى الضوء، فبقيت تتحلل بصمت في خزائن موصدة بإحكام، تتآكلها العتمة شيئاً فشيئاً. صور ثمينة تموت موتاً بطيئاً، تتعذب على مهل وقليلون يلتفتون نحوها بعد ان أتت الحرب على أثمن اللحظات وأندرها، وتكفل الإهمال والجهل بقسم لا يستهان به مما بقي منها. في ظل هذا الواقع السوداوي الذي يمحو أبرز معالم ذاكرتنا الفوتوغرافية، ولا يبقي إلا على بعض الصور المكرّسة التي استهلكت لكثرة عرضها، حاولنا التفتيش عن الجهات التي تقوم بجمع الصور والحفاظ عليها، فأتى المشهد مدهشاً وغير متوقع: آلاف الصور يحاول أصحابها جاهدين كي يأمنوا عليها من الضياع، صور لا تلتقط المناظر

الطبيعية والبيوت والمدن فحسب بل تخترق جدران المنازل فتصور أناسها، وتنزل إلى أزقة المدن القديمة وشوارعها فتأسر لحظات لن تعود يوماً. صور تكسر التوقعات وتخرج بجرأتها عما هو عادي ومعروف، فهي، وان عادت إلى العام 1840 أو إلى بداية القرن العشرين، تتضمن لقطات جريئة وصادمة تتنوع أماكنها بين القرى، الصالونات، السجون، صالات السينما وحتى المشارح. تكاد المؤسسة العربية للصورة تكون المؤسسة الوحيدة في لبنان، بعيداً عن اهتمامات الأفراد، التي تنبهت إلى ان الكثير من الكتب التي حوت صوراً حول المنطقة إضافة إلى المعارض الفوتوغرافية، هي نتاج أوروبيين صوروا الرؤية التي يملكونها عن العالم العربي، ولم يقدموا وقتها الصورة الحقيقية لهذه البيئة كما نعرفها ونعيشها. أخذت المؤسسة على عاتقها القيام بحفظ نتاج المصورين المحليين، وهي تملك في أرشيفها حاليا حوالى 150 ألف صورة تتنوع مواضيعها والبلدان التي صورت فيها: لدينا 150 ألف صورة جمعناها في لبنان، سوريا، مصر، فلسطين، العراق، الأردن، المغرب وإيران. أما أقدم مجموعة صور فهي عائلية أخذت العام .1881 وتعود إلى آل عز الدين في العبيدية، إذ كان رب العائلة ديبلوماسياً يصور بين لبنان ومصر. النيغاتيف الذي وجدناه كان على الزجاج، والمجموعة كانت في قبو وكلها أصابها العفن لأن قليلين هم من يعلمون كيفية المحافظة على الصور تشرح زينة عريضة مديرة المؤسسة العربية للصورة وتتابع معاتبة: الصور ترمى وتضيع في البيوت والأستوديوهات لأن هناك من لا يدرك مثلاً ان صورة جده قد يكون لها قيمة مهمة في صناعة تاريخ الصورة، بإمكاننا ان ندرس الصور الفوتوغرافية لأنها تؤسس لما يعرف بالثقافة النظرية، ومن المهم معرفة كيف كانت ممارسات المصورين الأوائل والأحداث التي ارتبطت بصورهم . تطور الحركة وتغير المعالم يظهر بوضوح في مجموعة الصور التي قامت السوليدير بأخذها لمنطقة وسط المدينة، ومع انها لا تنافس، من حيث القدم، المجموعات الأخرى إلا انها توثق بشكل كبير لهندسة المباني المعمارية والأوضاع الاجتماعية التي عرفتها المنطقة بعد الحرب وصولاً إلى اليوم. سيما درويش من قسم التوثيق في شركة سوليدير تعلّق: بدأت الشركة التصوير العام ,1993 هناك حوالى 3000 فيلم متنوع بين اجتماعات وفود وصور أبنية، شوارع مدمرة، معارض ولوحات تخص نشاطات الشركة سواء كانت اجتماعية أو إعمارية وغيرها . ومع ان البعض يجد في الخطوة التي أقدمت عليها الشركة عملاً ترويجياً بحتاً، إلا أن الواقع يبقى انها حفظت بالخطوة هذه، بغض النظر عن الدوافع، المادة التوثيقية الأغنى حول منطقة وسط المدينة. الجامعة الأميركية تملك واحدة من المجموعات التي لا يمكن إلصاق صفة التجارية أو الترويجية عليها، وهي تنقسم إلى

مجموعة الجامعة الخاصة التي تضم 45 ألف صورة تتنوع بين بنايات الجامعة، الأساتذة الأوائل، أوائل الخريجين وصور عن منطقة رأس بيروت، ومجموعات أخرى من خارجها يصل عددها إلى حوالى 5000 صورة. المسؤولة عن قسم التوثيق في الجامعة الأميركية سمر ميقاتي تعلّق: نحن نوثق كل الأحداث والنشاطات التي تحدث داخل الجامعة أو خارج الحرم الجامعي لأننا نعتقد بضرورة بقائها، نحن لا نعيش في جزيرة بل في حاجة إلى حفظ التراث الموجود حولنا . ومع ان قسماً من المجموعات المتوافرة في أرشيف الجامعة جاء على شكل تقدمة كما هي الحال مع زوجة هوارد بليس التي قدمت مجموعة مؤلفة من حوالى أربعمئة صورة لفتت عدسة زوجها، إلا ان هناك صوراً قيمة اكتشفت عن طريق الصدفة وسيتم قريباً نشرها في كتاب: قدمت مجموعة موور (كان مدرساً في الجامعة) إلى المكتبة بعد أن توفي، لقد بقيت أغراضه في عليّة إحدى البنايات والنيغاتيف كان عبارة عن ألواح زجاجية مكدّسة، ثم قدمت للمكتبة تشرح ميقاتي. إلا ان الجامعة الأميركية هي واحدة من المؤسسات التي لم تكتف بهذه المجموعات بل أخذت على عاتقها شراء مجموعات أخرى لأسباب أكاديمية: الحاجة إلى مواد تكمّل البرنامج التعليمي دفعتنا إلى البحث عن مجموعات أخرى تم شراؤها، كمجموعة عايدة كنفاني زهار التي صورت المهن الحرفية فتم شراء العديد من صورها على دفعتين نظراً إلى أهميتها. كما اشترت الجامعة صوراً لمانوغ الذي صور مهرجانات بعلبك ومحطات عديدة من لبنان وبيروت . أما عن أقدم صورة موجودة في الجامعة تعلق ميقاتي: الصور التى تعود إلى العام 1866 بالأبيض والأسود، موجودة بحالة جيدة وتتناول الجامعة ومحيطها . أما بالنسبة إلى الجامعات الأخرى، فقد بدأت جامعة سيدة اللويزة قبل أعوام قليلة بالالتفات إلى الصور الإغترابية على وجه التحديد، من خلال مركز الدراسات اللبناني المنشأ فيها حديثاً. الغرفة الكنز ثلاثة خزائن تبدأ من أرض الغرفة وتنتهي عند سقفها العالي، تمتلئ رفوفها بآلاف الصور بينها 27 ألبوما منتفخا بلقطات من كل المناطق اللبنانية والعديد من الدول العربية، هي الجزء الأبرز من مجموعة الراحل فؤاد دباس. في مركز شركة دبّاس، يمسك روبرت دباس ألبوماً تلو الأخر محاولاً إبراز غيض من فيض ما جمعه أخوه المعروف بشغفه، إن لم نقل هوسه، بالصورة: هي أبعد من هواية، لقد أمضى فؤاد دباس أكثر من 25 سنة وهو يجمع الصور، لقد ترك عمله وتخصص بهذا المجال، كان لا يتردد بدفع آلاف الدولارات وبالسفر إلى العديد من البلدان فقط كي يحصل على صورة نادرة . اللافت في المجموعة ليست الصور القديمة التي يعود بعضها إلى العام 1840 أي إلى تاريخ بدء التصوير الفوتوغرافي فحسب، إنما المميز أيضاً هو الجهد التوثيقي الواضح الذي يطاول كل صورة

على حدة، إذ قام فؤاد دباس بأرشفة مكان وزمان أخذها، ومعلومات أخرى ترتبط بها، ما يجعل من الصعب تجاهل الطريقة العلمية المتبعة في الأرشفة. خلال الجولة على الغرفة ومحتوياتها يخرج دبّاس يوميات الكونتيسة بيرتوي التي كتبت عليها مذكراتها من جهة، ورسمت المناظر التي شاهدتها على الجهة الأخرى من الورق، وهي يوميات اشتراها فؤاد دباس بمبلغ مئة ألف دولار. يبدو روبرت دبّاس حريصاً على ابراز مفاجآت تطلبت ربع قرن كي تجمع وتوضب، إذ يشير إلى مجموعة خزائن أخرى تحوي ملفات جاهزة ومنظمة حول كل من صوّر وعمل في هذا المجال، إضافة إلى مقتطفات من جرائد وأبحاث حول كل الصور . هذا المشهد اللافت هو بعض ما يمكن للمرء ان يراه من المجموعة التي آلت اليوم إلى الورثة أنطوان وروبرت دباس. جمال المجموعة هذه وأرشفتها المميزة لا يعني انها لا تعاني من أية مشكلة في ظل غياب الغرفة خاصة بحفظ الصور، وحاجة بعض الصور النادرة الموجودة إلى صيانة سريعة. كما ان المجموعة المتقدمة على الكثير من المجموعات الأخرى لجهة العدد والمضمون، لم تحول إلى مجموعة رقمية بعد، وبقيت بالتالي بعيداً عن متناول الجميع، إلا ان هذه النقاط تبدو حاضرة في حسابات الورثة، هم الذين يشددون على اعتبارها ملكاً للمجتمع لا ملكاً للعائلة، على الرغم من قيمتها المادية العالية: أدرس إمكانية تحميلها على شبكة الإنترنت وأتلقى عروضا في هذا المجال، أريد ان أضع المجموعة إما في مؤسسة أو جامعة أو متحف، لكني أريد أن أتأكد انني أضعها في مكان آمن وله استمرارية . وهل المكتبة الوطنية، أو متحف سرسق مثلاً هما خيار ممكن لحفظ الصور؟ يجيب دبّاس عن هذا السؤال بالقول: لا أريد ان يكون هناك أية مرجعية سياسية مسؤولة عن الصور، كل ما كان موجوداً في المكتبة الوطنية رمي أو احترق خلال لحرب وأنا لا أريد ان أخاطر . هكذا يبرز الفارق بين ورثة يعملون ما في وسعهم للحفاظ على الصور وإبرازها، وآخرين يرفضون حتى إخراجها من العتمة، محسن يمّين هو أحد جامعي الصور الذين صادفوا العديد من العقبات من هذا النوع، وله مؤلفات عديدة حول تاريخ الصورة في لبنان، ويملك مجموعة مهمة من الصور الفوتوغرافية ومئات الأفلام غير المظهرة بعد، عدا النيغاتيف الموجود على زجاج. خلال الحديث معنا أبقى اسم صاحب أحد أهم المجموعات طي الكتمان معلقاً: لم أفقد حتى اللحظة إمكانية إقناع حفيدته بالتعاون من أجل اخراج ألبوماته من العتمة التي تلفّها، في سبيل رفد النتاج التصويري اللبناني بمادة تخرج عن كل ما هو معتاد ومألوف من صور لما تزل مجهولة حتى الساعة . خلال الحديث لا يصعب على يمّين ان يستعيد الكثير من المواقف والقصص التي شكّل الورثة فيها سبباً مباشراً لضياع الصور أو على أقل تقدير بقائها غير معروفة

برغم أهميتها. ورشة حفظ الصور ليس بمهمة سهلة خصوصا عندما تكون المجموعات قد تعرضت لعوامل تفسد الورق أو الألوان، والطريقة تختلف بطبيعة الحال بين مؤسسة وأخرى، توضح عريضة ان المؤسسة العربية للصورة لا تعين اشخاصاً من خارج المؤسسة ليقوموا بمشروع ما، بل ان أعضاءها، وهم مصورون وفنانون يحرصون في خيارهم على مقاربة فنية محددة يقومون بالبحث والتفتيش: بعد عملية بحث صعبة وطويلة، وبعد جمع الصور الملائمة، تمر الصور في المركز بسلسلة من المعالجات: ينظف النيغاتيف باستعمال القطن المبلول بالمعقم المخفف بالماء، ثم يتم تحويل النيغاتيف إلى stnirP tcatnoc؟ كي تدخل بعد مسحها إلى بنك المعلومات . الخطوة الأولى في مسيرة الألف ميل تبقى الأصعب في رحلة جمع الصور أي التفتيش في ألبومات العائلات البرجوازية التي كانت تستطيع تحمّل تكاليف المصور والاهتداء إلى الأسماء التي كانت توقّع والبحث عنها في أمكنة غير متوقعة كالمؤسسات العسكرية أو المدارس. إلا ان هذه المرحلة لا تبدو كافية أبداً لجمع الصور، لذا تتبعها أخرى توثيقية: نقوم ببحث مفصل في حال كانت هناك معلومات ناقصة حول الصورة، كما نكتب كل ما نعرفه عنها كالظروف التي أحاطت بها من أحداث سياسية وغيرها . وبمقابل حرص المؤسسة العربية للصور على المقاربة الفنية في الصور، تختلف طريقة العمل جذرياً مع شركة سوليدير: لدينا موظف يقوم بالتصوير بشكل يومي، لكن عندما نحتاج إلى صور متعددة لأحداث متلاحقة بإمكاننا ان نتعاون مع مصورين محترفين ، أما عن الناحية الفنية للصور فتعلّق درويش: قسم الغرافيك ديزاين لديهم صور فنية أكثر، نحن لدينا صور للعمل اليومي العادي وكل الصور محفوظة في قسم الأرشيف . هاجس الحفاظ على الصور بأفضل الظروف الممكنة دفع بالمؤسسة العربية للصورة إلى تنفيذ غرفة كانت تكلفتها 02 ألف دولار، تبقى مبردة 42 ساعة سبعة أيام في الأسبوع، نسبة الرطوبة فيها 07 بالمئة، ولا يتم إخراج الصور منها إلا عند الضرورة كي تبقى درجة الحرارة والرطوبة فيها ثابتتين مع الحرص على خلو العلب من أية مادة أسيدية، وتحديداً في الغراء اللاصق، مع اعتماد نظام إطفاء للحريق لا يؤذي الورق عند إطفاء النار. مقابل هذه الترتيبات الخاصة والمكلفة تحاول المؤسسات الأخرى الحفاظ على الصور بأقل قدر من التكاليف لتأمين أكبر قدر ممكن من الحماية للصورة، كما هي الحال في مكتبة الجامعة الأميركية: الصور محفوظة بطريقة مسطحة، بحسب ترتيبها الزمني، ونعتمد على نظام التبريد العادي للحفاظ على المجموعة، وحدها المخطوطات موضوعة في حجرات تحت ظروف بيئية محددة . توضح سمر ميقاتي المسؤولة عن قسم الأرشيف في الجامعة الأميركية. صور خالدة مهمة وصف الصور

وحصر دلالاتها التوثيقية تبدو مستحيلة، وحدها بعض النماذج تستطيع أن تقدم جزءاً مما تحفل به الخزائن والألبومات المغلق عليها بإحكام، عريضة تعتبر أن أهم المجموعات الموجودة لدى المؤسسة تعود إلى المصور هاشم مدني هي الأكبر من حيث العدد و تضم 57 ألف صورة من الممكن أن تكون موضوع دراسة مفصلّة تخرج كتاباً يحوي عشرات الصور، تتوقف عند تلك التي أخذت في صيدا وتظهر شباناً يقبلون بعضهم، أو شابات يفعلون المثل. وتقول: مع ان صيدا هي من المدن المحافظة إلا انه، بحسب مدني، كان تقبيل أبناء الجنس الواحد لبعضهم أمام الكاميرا أمراً طبيعياً، لأن الشبان آنذاك كانوا يريدون تقليد الأفلام من جهة، ولأن المجتمع لا يسمح للشاب بتقبيل الفتاة قبل الزواج من جهة الأخرى، ف يتدرب أبناء الجنس الواحد في الأستوديو ويحتفظون بالصورة ، وتتابع عريضة المدني كان يصور كل شيء حتى صالات السينما، داخل السجون وغيرها، استغرقنا العمل أربع سنوات على مجموعة واحدة له بين جمع ووصف وتعريف، والآن يتم التحضير لمعرض في برشلونه . أما المجموعة التي يعتبرها حسن يميّن ذات قيمة توثيقية فهي العائدة إلى المصور داوود فراخ من صورات البترون، أو بالأحري ما سلم منها ، وقد التقط صورها واحدة تلو أخرى وهو يجوب القرى على ظهر دابته أو مشياً على قدميه اثر تكليفه من قبل شقيقه المطران عمانوئيل فارس الذي كان مقيماً في باريس، بتغطية كافة جوانب ومظاهر الحياة اليومية في جبل لبنان، على أن تطبع وتعمم على شكل بطاقات بريدية: عدسة الفرّاخ التي خرجت من أسر الأستوديو في مرحلة بزوغ أنوار القرن العشرين تتميز ببساطة مراقبتها للناس والأماكن ضمن دائرة جغرافية تمتد من الأرز وجبة بشري وصولاً إلى بيت الدين، مروراً ببيروت مع تركيز خاص على منطقة البترون . من ضمن الصور المؤثرة التي جمعها يمّين وأصدرتها المؤسسة العربية للصورة على شكل كتاب، مجموعة المصور كميل القارح الذي تعلم التصوير على يد مصور أرمني هارب من المذابح، فصوّر العديد من الأشخاص بعد موتهم في قالب فيه جمالية كبيرة في الشكل، كما هي الحال مع صورة المونسينيور بول معوض العام .6391 وصور أخرى تعود لأطفال مسجّين يصعب للوهلة الأولى معرفة إن كانوا نياماً في سرير من الورد أم أمواتاً، إضافة إلى صور عديدة أخذت في المشارح، حول هذه الصور تعلّق عريضة: من المحتمل ان يكون هذا الطقس قد قدم من أميركا اللاتينية بعد الهجرة إلى هناك، أعتقد أن البعض أراد أن يحتفظ بصور جميلة لأحبابه بعد موتهم كونه لم يتمكن من التقاطها لهم وهم أحياء . مع الإشارة إلى ان صور الموت ليست الوحيدة التي أخذها القارح الذي اختار العديد من المهام بينها تصوير القباضايات العام 5291. وفي حين ان الغلبة واضحة

لصالح المصورين الرجال من حيث العدد وكميات الصور المحفوظة لهم، إلا ان للعنصر النسائي مشاركة في صنع الذاكرة الفوتوغرافية في لبنان كما هي الحال مع ماري الخازن التي صورت عائلتها ومحيطها، ومن ابرز الصور الباقية لها في المؤسسة العربية للصورة لقطة تظهر مجموعة نساء في أحد الصالونات يرتدين بزات رجالية حديثة مع طرابيش على رؤوسهن (9291) في انعكاس واضح لبدء المطالبة بالتحرر والمساواة مع الرجل. هكذا تبدو الصور ذات الدلالات الإجتماعية هي صاحبة حصة الأسد من المجموعات المحفوظة في المؤسسة العربية للصورة، على حساب صور اللاند سكيب: النقص في اللاند سكيب كان يعوضه إلى حد ما زولان صيداوي وفاروجيان اللذان ركزا على هذا النوع من اللقطات تعلّق عريضة، مع العلم انه حتى في وزارة السياحة التي تملك مجموعة صور متواضعة من حيث العدد تعود إلى الخمسينيات والستينيات، يبرز النقص في هذا المجال إذ لم تكن صور المسح مطلوبة بقدر صور العقارات. وعن الصور خارج النطاق الاحترافي، فإن ما لفت يمّين مجموعة أخرى عائدة إلى أحد الهواة وكان من أصل أجنبي استقر في بيروت لم يترك ناحية من النواحي إلا ووجه إليها ماكنته مثبتاً لقطاته بدقة ومهارة وحميمية تحملنا على النظر إلى بيروت من زوايا لم نعتدها من قبل في ما هو متداول من صور وشائع من بطاقات . من المسؤول؟ مع ان شركات عديدة صورت أثناء الحرب كشركة أوجيه، ومؤسسات إعلامية قامت بحفظ العديد من الصور ما وفّر أرشيفاً مهماً كما هي الحال مع أرشيف بعض الصحف اللبنانية ك السفير و النهار ، يبقى الواقع أن مجموعات كثيرة لم تجد من يعثر عليها أو يقدرها في لبنان، فكان قدرها ان تعرض في أبرز المتاحف العالمية، هذا الذي يشير إليه يمين ضارباً المثل بمجموعة فؤاد دباس: بعض الصور التي جمعها فؤاد دباس لم تعد في العالم العربي بل أصبحت في متاحف العالم . أما المؤسسة العربية للصورة فتتبنى سياسة مختلفة تماماً في انتقائها للصور إذ تبتعد عن الصور التي لها قيمة كبيرة مادياً، وبالتالي لا تشكل منافسة للمتاحف العالمية نعمل على مجموعات نملك حقوق نشرها وتوزيعها أو مشاركين بها عندما نقرر امتلاك مجموعة ما تعلق عريضة. بين من يلوم الدولة ويحملها مسؤولية كبيرة في واقع الذاكرة الفوتوغرافية في لبنان، وآخرون يصبون جام غضبهم على الحرب وما فعلته بما كان محفوظاً، تبقى الحرقة الواضحة على ما أكلته النيران وحولته رماداً: الكثير من نتاج المصورين المميزين أزالته الحرب وجنون المقاتلين من الوجود، آسف كثيراً على آلاف البطاقات البريدية التي اتلفت في متجر آل طرزي في بيروت، وفي شارع التل في طرابلس حيث دمر العديد من الأستوديوهات، وأفترض ان الأمر نفسه حصل في بحمدون أو عاليه وبقية المصايف

الأخرى ، يعلق يمّين بأسف واضح مستذكراً الصدفة التي جعلت مجموعة صور منسية من صور الشرق الأوسط تجد طريقها إلى متحف الأثار السامية في جامعة هارفارد، كانت موضوعة في صناديق لا يعرف أحد عنها شيئاً، لغاية تفجير مكتب وزير الخارجية السابق هنري كيسنجر خلال احدى التظاهرات الطلابية المناهضة له في السبعينيات، وكان ان سقط، بنتيجة الانفجار، السقف والصناديق التي تحوي 03 ألف صورة جمعها كتّاب كانوا يسافرون إلى الشرق، وقد عرضت نماذج منها في لبنان . ويبدو ان التقاليد الإجتماعية في العالم العربي والأحداث التاريخية من انقلابات وحروب كان لها الأثر السلبي على الصورة ليس في لبنان وحده بل في مختلف الدول العربية: أخبرنا فان ليو المصور الأرمني المصري بعد ان أعطانا صوراً لنساء شبه عاريات، انه حرق آلاف الصور عند حدوث الثورة خوفاً من ردود الفعل في الأوساط المتدينة، لم يخبرنا أحد في لبنان عن حالات حرق الصور، لكن هناك استوديوهات في طرابلس خسرت الكثير من الصور تؤكد عريضة.
بعيداً عن السمع وفي الوقت الذي تغيب فيه الجهات الرسمية تماماً عن السمع، تقوم المؤسسات الأخرى بفعل ما في وسعها لجهة التحديث والأرشفة مع اعترافها ان كل ذلك يبقى خطوة ناقصة من دون تفعيل الإهتمام الرسمي: نقوم بإعداد كاتالوغ كامل بعد ان تم مسح الألبوم وبات رقمياً، لا يمكننا بالطبع ان نأخذ دور الدولة والمؤسسات، لكننا نعمل على قدر إمكانياتنا تشدد سمر ميقاتي. بدوره يتشارك يمين في الفكرة هذه مع ميقاتي:
المؤسسات الرسمية هي المسؤولة عن حفظ الصور وأرشفتها، لكن الانتباه الرسمي لا يزال ضئيلا، باستثناء دائرة المحفوظات الوطنية ليس هناك من يرعى هذا الجانب الوطني من تراثنا، وموجودات هذه الدائرة التابعة لرئاسة مجلس الوزراء غذتها إلى حد بعيد هبة المرحوم فؤاد دباس على أيام مديرها فاروق مسيكة، إذ قدّم إليها نسخاً عن آلاف البطاقات البريدية الأصلية، من مجموعته الخاصة التي آلت إلى ورثته . القانون هو الحل؟ غياب الاهتمام الرسمي ليس العقبة الوحيدة أمام حفظ الذاكرة الفوتوغرافية، فلبنان في حاجة إلى سن قوانين جديدة وتشريعات حديثة من أجل حماية الملكية الأدبية والفكرية والفنية، يمّين يشدد على هذه النقطة غامزاً من قناة بعض الأسماء التي استغلت الصور كي تحصل على مراكز مهمة على صعيد محلي وأوروبي فأخذت الصور بحالة وأعادتها بأخرى: نحتاج إلى تطبيق بنود القوانين المفترضة تطبيقاً حازماً، كي لا تبقى الصور عرضة للاقتناص الدائم من ذوي الشهية المفتوحة أبداً سواء كانوا ناشطين ضمن وسائل الإعلام، أو مؤلفين ممن يتصرفون كأن الصور ملك عام أو غنيمة باردة لا تستوجب مراجعة صاحب الأثر أو ذكر اسمه ومصدرها في كل مرة تستخدم فيه الصور . ومع انه في فرنسا، مهد التصوير

الفوتوغرافي، تعين الانتظار حتى العام 7591حتى يعتبر التصوير الفوتوغرافي نتاجاً فكرياً يتوجب إخضاعه لتشريع خاص لكن ذلك لا يعني أخذ الأمر ذريعة لمتابعة الإهمال، هذا ما يشدد عليه يمّين وغيره ممن التقيناهم: من الأفضل ان تأتي القوانين متأخرة من ألا تأتي أبدا . التكلفة المادية العالية تظهر أيضاً كعائق إضافي يمنع من تأمين الظروف المناسبة لحفظ الصور بطريقة محترفة كما هي الحال مع المؤسسة العربية للصورة التي تتولى دفع الكثير من الرواتب والمصاريف. ومع هذا، يبقى هدف القيمين على الصور جعلها متاحة أمام أكبر قدر من الناس. عريضة توضح ان أحد الأهداف هو وضع الصور في متناول من يرغب بتفحصها: في المكتب الجديد سيكون هناك مجال كي يأتي طلاب ومن يقومون بأبحاث ليتفحصوا ما يريدون. هناك من أتى إلى مكتبنا الحالي وقضى ساعات وأسابيع ممن يحضرون لشهادة الدكتوراه أو من الفنانين والصحافيين، وذلك قبل ان تصبح قاعدة المعلومات متوفرة على الانترنت. الإقبال على الصور واضح من داخل وخارج لبنان، لقد سهّل الموقع الإلكتروني الأمور على المهتمين من الخارج إذ بات بإمكانهم الإطلاع على الصور المتوافرة على الشبكة بحجم صغير طبعاً، ويصار إلى طلب الصور من المؤسسة . نعمة أم نقمة؟ الانتشار الواسع للكاميرات الرقمية وتوافرها على الهواتف النقالة، غيرت بطريقة جذرية الطريقة التي يتم فيها أخذ الصور، وعلى الرغم من التطور الإيجابي في هذا المجال إلا ان البعض لا يتردد بالتركيز على النواحي السلبية للكاميرات بوصف الصورة المتولدة عنها بال الهجينة والمبتذلة : عندما يكون بالإمكان التقاط صورة فورية بواسطة جهاز الخلوي، ماذا يبقى من الزاوية الخاصة بالمصور ومن اسلوبه، وماذا يبقى من التأليف والتركيب اللذين يدخلان في تكوين الصورة ويرفعانها إلى مصاف العمل الفني؟ يتساءل يمين متخوفاً من ضياع الصور هذه، لافتاً إلى المتاعب التكنولوجية التي من الممكن ان تواجه حفظها. عريضة تلفت إلى ان العلاقة نفسها بالمصور تغيرت: لم تعد هناك علاقة وطيدة بالمصور وكل بإمكانه ان يلتقط صوره الخاصة، البعض أصبح يقوم حتى بأخذ صور الباسبور في المنزل . يبقى المطلوب ان تنشر عدوى الاهتمام بالصورة بأسرع وقت ممكن، كونها عدوى صحية قد تستطيع ان ترشد كثيرين إلى مخابئ معتمة تتحلل فيها الصور، كي يتم حفظ الصور بأفضل الطرق الممكنة والوسائل المتاحة، علّه يبقى هناك أمل في بقاء ذاكرة فوتوغرافية حية في لبنان.

الكلمات الدالة

لبنان | الصور الفوتوغرافية | بيروت | دباس فؤاد | المؤسسة العربية للصورة

الشركة اللبنانية لتطوير واعادة اعمار الوسط التجاري لبيروت | الجامعة الاميركية في بيروت

شروط الإستخدام

للتواصل معنا archives.assafir.com